الخطبة الرابعة: عوامل الثبات عند الابتلاء

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضِل له، ومن يضلل فـلا هـادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب : ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديثِ كِتاب اللهِ، وأحسن الهدي هدي محمـدٍ، وشـر الأمورِ محدثَاتها، وكُل محدثَةٍ بِدعةٌ، وكُل بِدعةٍ ضلالَةٌ، وكُل ضلالَةٍ فِي النارِ.

فإذا ابتليت أخي بمصيبة كمرض، أو عقوق أحد أبنائك، أو فقد أحـب الناس إليك، أو أي نوع من أنواع الابتلاءات التي لا حصر لها فعليك بالآتي:

أولا: الإيمان بالقدر:

أن تؤمن أن الله قدر كل شيء يكون إلى ما لا نهاية له ، وأنه سبحانه قدره عن علم [1] . قال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام: ٥٩

والقدر معناه: تقدير الله تعالى في الأزل.

أما القضاء فهو حكم الله بالشيء عند وقوعه.

قال الإمام ابن الأثير: وهما - أي القضاء والقدر- أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء وهو القـضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

وينبغي عليك – أخي الحبيب – أن ترضى بما قدره الله لك وأن تطمئن إليه ، وأن تعلم أن ما قدره الله لك قدره لحكمة عظيمة ، وغاية محمودة ، يـستحقها عليها الحمد فما عليك دوماً ودائماً إلا أن تقول الحمد لله على كل حال ، كمـا ورد في سنن الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال : **" إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي قالوا : نعم ، قبضتم ثمرة فـؤاده قالوا : نعم ، فيقول تعالى لملائكته ماذا قال عبدي ، فتقول : حمدك واسترجع ، فيقول جل وعلا لملائكته : ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ".** [2]

1- والقدر له أربع مراتب: العلم، والكتابة والخلق والمشيئة .

2- حسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٤٠٨)

والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان الذي جاء في حديث جبريل المعروف.

وكما في سنن أبي أبي داوود عن ابن الديلمِي قَالَ: أتيت أُبي بن كَعبٍ ﷺ فَقُلْت لَه: وقَع فِي نفْسِي شيءٌ مِن الْقَدرِ فَحدثْنِي بِشيءٍ؛ لَعل الله أَنْ يذْهِبه مِـن قَلْبِي! قَالَ: لَو أَن الله عذب أَهلَ سماواتِهِ وأَهلَ أَرضِهِ عذبهم وهو غَير ظَالِمٍ لَهم، ولَو رحِمهم كَانت رحمته خيرا لَهم مِن أَعمالِهِم، ولَو أَنفَقْت مِثْلَ أُحدٍ ذَهبا فِـي سبِيلِ اللهِ ما قَبِلَه الله مِنك حتى تؤمِن بِالْقَدرِ، وتعلَم أَن ما أَصـابك لَـم يكُـن لِيخطِئَك وأَن ما أَخطَأَك لَم يكُن لِيصِيبك، ولَو مت علَى غَيرِ هذَا لَدخلْت النـار. قَالَ: ثُم أَتيت عبد اللهِ بن مسعودٍ ﷺ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِك، قَالَ: ثُم أَتيت حذَيفَةَ ابـن الْيمان ﷺ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِك قَالَ: ثُم أَتيت زيد بن ثَابِتٍ ﷺ فَحدثَنِي عن النبِـي ﷺ مِثْلَ ذَلِك" [1]

فإذا أصيب العبد بمصيبة فليقل: قَدر الله وما شاء فعل؛ وذلك لمـا ورد في كتاب القدر من صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول ﷺ:**"الْمؤمِن الْقَوي خير وأَحب إِلَى اللهِ مِن الْمؤمِن الضعِيفِ، وفِي كُل خير، احرِص علَى ما ينفَعك واستعِن بِاللهِ ولَا تعجز، وإِنْ أَصابك شيءٌ فَلَا تقُلْ: لَو أَني فَعلْت كَـانَ كَذَا وكَذَا ولَكِن قُلْ قَدر اللهِ وما شاءَ فَعلَ؛ فَإِن لَو تفْتح عملَ الشيطَانِ"** [2]

1- أبو داوود (٤٠٧٧) وأحمد (٢٠٦٠٧)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (١١٥) .
2- مسلم (٤٨١٦).

هل الدعاء يغير في قضاء الله ؟

لا شك أن للدعاء تأثيراً في التغيير، لكن هذا التغيير الذي سببه الدعاء هـو مكتوب أيضا، والدعاء مكتوب أيضا [1] .

ثانيا:الصبر على البلاء:

الصبر لغة: الحبس والمنع ، ومنه قولهم: فلان قُتل صبراً أي محبوساً مأسوراً.

ومعناه في الاصطلاح: هو حبس النفس على أشياء وعن أشياء.

وقيل : هو حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن التشكي وحـبس الجوارح عن المعاصي .

وهو ثلاثة أشياء:

صبر على المأمور، وصبر على المحظور، وصبر على المكروه.

فالأول: هو الصبر على طاعة الله كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[طـه:١٣٢] وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾[الإنسان :٢٣، ٢٤]

والثاني: الصبر عن معصية الله، كصبر يوسف عليه السلام عن إجابة امرأة العزيز

والثالث: الصبر على المكروه، وهو الصبر على أقدار الله، قال تعـالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[الإنـسان:٢٤] ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف: ٣٥]

1- وانظر تفصيل ذلك في خطبة الدعاء من هذا الكتاب.

أولا: الصبر على المأمور ويشتمل على الآتي:

(١) الصبر على أوامر الله:

إن الطريق إلى الله مليء بالعوائق؛ لأن النفس بطبيعتها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس، ولذلك فإن الأمر يحتاج إلى ترويض واصطبار، وقد أمر الله بالصبر على طاعته في كثير من سور القرآن، وعلى لسان خير الأنام ﷺ فقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم:٦٥]

والصبر على طاعة الله يتكون من ثلاث شعب:

الأولى: صبر قبل الطاعة، ويكون ذلك بتصحيح النية والإخلاص، والتبرؤ من شوائب الرياء؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١﴾ [هود :١١] فقدم سبحانه وتعالى الصبر على العمل.

الثانية: الصبر على الطاعة أثناء تأديتها، دون تغافل أو تكاسل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]

الثالثة: الصبر بعد العمل : فلا ينظر لنفسه بعين العجب ، فيتظاهر بما قدم سمعةً ورياءً ، بل عليه أن يحمد الله على أن وفقه لهذا العمل ، ولا يكون له هم إلا هل قبل الله العمل أم رده ؟

فللأسف الشديد نسمع من بعض الناس من يقول : أنا الصائم النهار أنا القائم الليل ، أنا الحافظ لكتاب الله ، ويضيع الثواب بكلامه هذا ، فينبغي عليه أن يقوم بالعمل دون إعجاب أو رياء .

(٢) الصبر في الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله هي رسالة الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، وهي من أعظم القربات إلى الله؛ لأن العمل المتعدي نفعه يكون دائما أعظم أجراً من المقصور نفعه على الشخص، ولذا فطريق الدعوة محفوف بالمتاعب والآلام، لكن على قدر التعب والآلام يكون الأجر عند الله، وتكون الثمرة لدعوته، لذا يعترض الداعية إلى الله بعض المعوقات ،

ومن هذه المعوقات ما يلي:

(أ) إعراض الناس عن الدعوة:

وهذا من أصعب الأشياء على النفس، أن يصيح الإنسان بأعلى صوته وينادي بملء فيه فلا يجد إلا آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ، كما حدث مع نوح وغيره من الأنبياء حتى خاتم الأنبياء، والإعراض هو سبيل المجرمين دائما: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الطور:٣٢]

وعلى الداعية في ذلك أن يصبر ويعلم أن العاقبة له بقدر إخلاصه وهمته في الدعوة، ولا يضعف من أول وهلة، وليتأس في ذلك بسيد المرسلين ﷺ بعد أن لاقى الأذى من أهل الطائف، وقبلهم أهل مكة ، فعن عائشةَ (رضِي الله عنها) زوج النبِي ﷺ حدثته أنها قالت لِلنبِي ﷺ هلْ أتى علَيك يوم كانَ أشد مِن يومِ أحدٍ؟ قالَ:"**لقَد لقِيت مِن قَومِكِ ما لقِيت، وكانَ أشد ما لقِيت مِنهم يوم العقَبةِ إِذْ عرضت نفْسِي علَى ابن عبدِيالِيلَ بن عبدِكُلَالٍ فَلم يجِبنِي إِلَى ما أردت، فَانطَلَقْت وأنا مهموم علَى وجهي، فَلم أستفِق إِلا وأنا بِقَرن الثعالِبِ، فَرفَعت رأسِي فَإِذَا أنا بِسحابةٍ قَد أظَلتنِي.**

فَنظرت فَإذَا فِيها جِبرِيلُ فَنادانِي فَقَالَ: إن الله قد سمِع قَولَ قَومِك لَك وما ردوا عليك، وقد بعثَ إلَيك ملك الْجِبال لِتأمره بِما شِئْت فِيهِم فَنادانِي ملك الْجِبال فَسلم علي ثُم قَالَ: يا محمد فَقَالَ ذَلِك فِيما شِئْت إنْ شِئْت أَنْ أُطْبِق عليهِم الْأَخشبين فَقَالَ النبِي ﷺ: بلْ أرجو أنْ يخرِج الله مِن أصلَابِهِم من يعبد الله وحده لَا يشرِك بِهِ شيئًا"(1)

وبالفعل تحقق كلامه ﷺ فأسلم خالد رضي الله عنه وهو ابن الوليد بن المغيرة، الذي نزل في شأنه قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ الآيات (من ١١ إلى ٢٩) من سورة المدثر ، وعمرو بن العاص فاتح مصر، وعكرمة، وغيرهم ممن خدموا دين الله عز وجل.

(ب) الأذى من الناس قولاً وعملاً:

الداعي دائماً يتهم بما ليس فيه، فيردون الحلم بالجهل ، والإحسان بالإساءة، وعليه هنا أيضا التأسي بالأنبياء، كما حدث مع لوط عليه السلام حين نهى قومه عن العادة السيئة قالوا عنه وعن أتباعه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل:٥٦] وكما حدث مع النبي محمد ﷺ حين قالوا عنه: ساحر وكاهن، وأذاقوه ألوان العذاب، فما كان منه إلا الصبر والصفح الجميل.

فعلى الداعي هنا أن يعفوا ويصفح ويصبركما قال تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت :٣٤]

1- البخاري (٢٩٩٢) ومسلم (٣٢٥٢).

(٣) الصبر على الزوجة والأولاد:

لا تستقيم الحياة الزوجية بين الزوجين إلا إذا كانا الزوجان واقعيين يـصبر كل منهما على الآخر ؛ لأنه لا يوجد إنسان يخلو من العيوب، فعلـى الـزوج أن يصبر على زوجته ، كما جاء عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللـهِ ﷺ: **"لا يفْرك مؤمن مؤمنةً إنْ كره مِنها خلُقًا رضِي مِنها آخر أو قَالَ غَيره "**[1]

وقد أمر الله الرجال بحسن العشرة مع النساء فقال تعـالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء:١٩]

وكذلك يصبر الإنسان على أمر زوجته وولده بأوامر الله كما قال تعـالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٠]

وقال تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦]

(٤) الصبر على الإخوة في الله:

قد حث الرسول ﷺ على الإخوة في الله وحبب فيها وفي ثوابهـا كمـا في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ:**"سبعةٌ يظِلهم الله تعالى فِي ظِلِهِ يوم لا ظِل إلا ظِله: إمام عدلٌ، وشاب نشأ فِي عِبادةِ اللهِ، ورجلٌ قَلْبه معلق فِي الْمساجِدِ، ورجلَان تحابا فِي اللهِ اجتمعا علَيهِ وتفَرقَا علَيهِ، ورجلٌ دعته امـرأةٌ ذَات منصِبٍ وجمالٍ فَقَالَ: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بِصدقَةٍ فَأَخفَاها حتى**

1- مسلم (٢٦٧٢)، ومعنى يفرق: يغضب.

لا تعلم شِمالُه ما تنفِق يمِينه، ورجلٌ ذَكر الله خالِيا فَفَاضت عيناه "[1]، فـذكر منهم الإخوة في الله تعالى .

فإذا رأى الإنسان من أخيه فعلاً يكرهه فليصبر عليه؛ حتى لا يكون عونـاً للشيطان عليه، ويدرء السيئة بالحسنة كما أمر الله، ويلتمس له الأعذار كما كـان يفعل صحابة النبي ﷺ، كذلك إذا رأى من أخيه جفوة وانقطاعاً فليصلْ هو عمـلاً بقوله ﷺ: **"عليكُم بِالْجماعةِ وإياكُم والْفُرقَةَ؛ فَإن الشيطَانَ مع الْواحِدِ وهو مِن الِاثْنين أبعد، من أراد بحبوحةَ الْجنةِ فَلْيلْزمِ الْجماعةَ، من سرته حسنته وسـاءَته سيئَته فَذَلِكُم الْمؤمِن "**[2]

وقوله ﷺ :"**إنما يأكلُ الذئب من الغنمِ القاصيةَ**"[3]أي البعيدة المنفردة

وكذلك أنك لو تركت أخاك أخذه أهل الباطل من شياطين الإنس والجـن وهم كثر - لا كثرهم الله- فتكون بذلك أعنت الشيطان على أخيك، وقد نهـى النبي ﷺ عن ذلك فقال: **"لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكُم"** [4]

(5)الصبر على طلب العلم:

العلم ميراث الأنبياء، فمن سلك سبيله فقد أخذ بحظ وافر، ولذا يجب على طالب العلم أن يتحلى بما يلي:

1- البخاري (١٣٣٤) ومسلم (١٧١٢) .

2- الترمذي (٢٠٩١) وأحمد (١٧٣) وضحه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٣١).

3- النسائي (٨٣٨) وأبو داود(٤٦٠) وأحمد (٢٦٢٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٢٧) .

4- أحمد (٣٩٥٥) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٤٤٢).

(أ) التواضع: فقد أدب الله موسى، وهو نبيه لما قال: لا أعلم أحداً علـى الأرض أعلم مني[1] . فكان يجب أن يرد العلم إلى الله ، ولكن نسبه إليه فأدبه ربه .

وكذلك ما روي عن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ:"**من تعلـم الْعِلْـم؛ لِيباهِي بِهِ الْعلَماءَ، ويجارِي بِهِ السفَهاءَ، ويصرِف بِهِ وجوه الناسِ إِلَيهِ أدخله الله جهنم**" [2]

(ب) يجب أن يصبر ويصابر: لأن من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(ج) أن يلتزم مع شيخه بما عقد معه من شرط ؛فالمؤمنون عند شروطهم.

(د) يجب على الشيخ أن يراعي ضعف تلميذه، فلا يؤاخذه من أول عثرة بل عليه أن يذكره ويتعهده بالإرشاد، وكان **عمر يقـول:** تَواضـعوا لِمـن علمتُـم، وتَواضعوا لِمن تُعلمون، ولاَ تَكُونُوا مِن جبارِي الْعلَماءِ[3].

ثانيا: الصبر على المحظور:

وهو الصبر على شهوات النفس الأمارة بالسوء من نساء وأموال يجمعها مـن أي طريق ومن غيبة ونميمة، ومن غير ذلك من المحظورات التي نهى الله عنها.

فعلى العبد الصالح أن يجمح نفسه، وأن لا يترك لها العنان فتهلكه، ويعلم أن معصية واحدة قد تكون سبباً في شقائه في الدارين.

كما جاء عن حذَيفَةُ ﷺ قال: سمِعت رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ:" **تعرض الْفِتن علـى الْقُلُوبِ كَالْحصِيرِ عودا عودا، فَأي قَلْبٍ أُشربها نكِت فِيهِ نكْتةٌ سـوداءُ، وأي**

1- أحمد (٢٠٢٠٠) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤).

2- ابن ماجه (٢٥٦)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٠) .

3- الموسوعة الفقهية الكويتية (٩/١٣)، دار السلاسل بالكويت، الطبعة الثانية .

قَلْبٍ أنكرها نكِت فِيهِ نكْتةٌ بيضاءُ، حتى تصِير على قَلْبين على أبيض مِثْل الصفَا فَلَا تضره فِتنةٌ ما دامتِ السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كَالْكُوزِ مجخيا لَا يعرف معروفًا ولَا ينكِر منكرا، إلا ما أشرب مِن هواه" [1]

وعليه أن لا يستصغر معصية من المعاصي؛ فالصغيرة تأتي بالكبيرة وفي الحديث: "لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار" [2]

يقول ابن القيم – رحمه الله:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرةً إن الجبال من الحصى .

يقول صاحب البردة:

والنفس كالطفل إن تتركه شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

ثالثا: الصبر على المكروه:

وهذا هو ما فصلناه في الخطبة السابقة، وهو كما قلنا لا يخلو منه بر ولا فاجر، وعلى الإنسان أن يصبر ويصابر ولا يتسخط بقضاء الله بل يصبر ويحتسب.

1- مسلم (٢٠٧) ، ومعنى مرباداً: شيء من بياض يسير يخالطه السواد، مجخياً:منكوثاً مائلاً .

2- ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٣٠٨)

اصبر لكـل مـصيبة وتجلـد ... واعلم أن المرء غـير مخلـد

اصبر كمـا صـبر الكـرام ... فإنها نوب تنوب اليوم تكشف في غدٍ

وإذا أتتك مـصيبة يرثـى لهـا ... فاذكر مصابك بالنبي محمـد

وصدق من قال:

إذا أصابتك نكبة فاصبر لهـا ... وارع الأمانة والخيانة فاجتنب

ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتـي ... من ذا رأيت مسلما لا ينكـب

اعدل ولا تظلم يطب لك مكسب ... والنصح أغلى ما يباع ويوهـب

أيها المبتلى: إياك والتفريط في الصلاة:

أنصحك -أيها المبتلى- وأنصح نفسي بعدم التفريط في الصلاة مهما كـان الأمر، فأثناء زيارتي لأحد المرضى الأقارب سألت أخاه: هل يصلي؟ فقال بصراحة: لا، فسألت عن السبب، فقال: لأن حالته النفسية سيئة للغاية، فقلت لأخيـه: ألا تعلم أنه لو مات الآن يموت على خطر عظيم؟! ألا يعلم هذا الرجـل أن الـصلاة تفرج عنه ما هو فيه؟! فقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، بـل كان يقول ﷺ لبلال: **«يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»**[1] فالصلاة عماد الدين، ولن يقوم دين بلا عماد، أليس كذلك؟! بلى..

فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وعليـك بقـراءة القرآن؛ فإن الله ربط بين القرآن والصلاة، فقـال: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ

1- أبو داود (٤٣٣٣) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت٤٥] فـ اقرأ القرآن ولا تغفل عنه، وصل؛ فالصلاة صلة عظيمة بينك وبين رب الأنام، وللأسف ما أكثر تاركي الصلاة اليوم من المرضى!

وعلينا أن نذكر هذا المريض بخطئه العظيم، فالصلاة عمود الإسلام، فالرجل المصلي الصابر في معية الله- كما أسلفنا القول- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]

وواجبنا نحوه وجوب مناصحته ودعوته الدائمة إلى الحق، فإن أصر على تركها فيجب تركه وهجره وعدم إجابة دعوته؛ حتى يتوب إلى مولاه؛ فيتوب الله عليه برحمته وفضله.

ونبشره بحديث النبي«**ما يصيب المؤمن من وصبٍ ولا نصبٍ ولا سقم ولا حزن، حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**» [1]

ولكن انظر مرة ثانية إلى قول النبي ﷺ: **ما يصيب المؤمن**، وهل يتخيل أن هناك مؤمنا لا يصلي لله العلي الكبير؟!

إن الله يريد أن يطهرك؛ حتى تمشي على الأرض ما عليك خطيئة، فهل أنت على الدرب سائر إلى ربك.. ملتزم بسنة نبيك؟!.

واجبنا نحو أهل البلاء :

وأهيب بإخواننا أن يحرصوا على زيارة إخوانهم المرضى قدر استطاعتهم، فسيجدون عندهم رب العالمين بفضله وكرمه؛ حتى لا يعاتبهم ربهم، كما ورد في الحديث القدسي الطويل، وشاهدنا فيه قول ربنا عز وجل يوم القيامة: « **إن الله**

1- مسلم (٤٦٧٠) .

عز وجل يقُولُ يوم الْقِيامةِ: يا ابن آدم مرضت فَلَم تعدنِي! قَالَ: يا رب كَيـف أعودك وأنت رب الْعالَمِين؟! قَالَ: أما عَلِمت أن عبدِي فُلَانا مرض فَلَم تعده، أما عَلِمت أنك لَو عدته لَوجدتنِي عِنده.

يا ابن آدم استطْعمتك فَلَم تطْعِمنِي! قَالَ: يا رب وكَيف أُطْعِمك وأنت رب الْعالَمِين؟ قَالَ: أما عَلِمت أنه استطْعمك عبدِي فُلَانٌ فَلَم تطْعِمه، أما عَلِمت أنك لَو أطْعمته لَوجدت ذَلك عِندِي.

يا ابن آدم استسقَيتك فَلَم تسقِنِي قَالَ: يا رب كَيف أَسقِيك وأنت رب الْعالَمِين؟ قَالَ: استسقَاك عبدِي فُلَانٌ فَلَم تسقِهِ أما إِنك لَو سقَيته وجدت ذَلك عِندِي» [1]

انظر إلى معية الله عند المريض؛ فالمريض منكسر، فـأراد ربـك أن يجـبر انكساره بهذه المعية بلا تمثيل أو تشبيه أو تعطيل.

وقال رسول ﷺ:"**خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنـة: مـن عـاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوما، وراح إلي الجمعة، وأعتق رقبة**" [2]

وقال أيضا ﷺ : "**من عاد مريضا ناداه منادٍ من السماء: طبت، وطـاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا**" [3].

وقَالَ أيضاً ﷺ : « **عائِد الْمرِيضِ فِى مخرفَةِ الْجنةِ حتى يرجِع** » [4]

1- مسلم (٤٦٦١) .

2- صححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٠٢٣) .

3- صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٤).

4- مسلم (٤٦٥٧)، وأحمد (٢١٤٠٩) وانظر الصحيحة (١٩٢٩)

مخرفة الجنة :أي جناها وهو ما يجتنى من نخلها

وقال أيضاً ﷺ : « **ما مِن مسلِمٍ يعود مسلِما غُدوةً إلا صلى عليهِ سبعونَ ألف ملكٍ حتى يمسِي، وإنْ عاده عشِيةً إلا صلى عليهِ سبعونَ ألف ملكٍ حتى يصبِح، وكانَ له خريف فِي الْجنةِ**» [1]

وعلينا أن نذكره بعظيم ثواب الله الذي أعده للصابرين المحتسبين، كما مر معنا في الأحاديث السابقة، ونؤمله في الفرج، ونقول له:

يا صاحب الهم إن الهم منفـ ـ ـرج ... أبـشر بقـرب فـإن الفـارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبـ ـ ـه لا ... تيأسـ ـن فـ ـإن الكـ ـافي الله
الله يحدث بعد العسر ميـسـ ـرة لا ... تجزعن فإن القـادر اللـ ـ ـ ـ ـه
إذا بليـت فثق بالله وارض بـ ـه إن ... الذي يكشف البلوى هـو اللـ ـه

شروط الصبر:

أي لكي يؤجر الإنسان على هذا الصبر لا بد من شروط ومنها :

أولا: الإخلاص:

وهو شرط لقبول أي عمل قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف :١١٠] العمل الـصالح هـو الموافـق للكتاب والسنة

1- الترمذي (٨٩١) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٤٧٦) .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي يخلص أعماله من الرياء، فتكون خالصة لله تعالى، فالصبر المحمود في الكتاب والسنة الذي يؤجر عليه صاحبه، هو ما كان لله تعالى؛حيث يقول تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾[المدثر:٧]

ولا ينافي الإخلاص دمع العين، ولا حزنُ القلب؛ فقد قَالَ ﷺ: **"تدمع العين، ويحزنُ القلب، ولا نقُولُ إلا ما يرضى ربنا، واللهِ يا إبراهيم إنا بك لمحزونونَ"** (١)

ثانيا: عدم شكوى الله:

أي الشكوى للعباد مع التسخط على قضاء الله، لكنه لو كان يوضح شدة ألمه مع الرضا بقضاء الله وقدره فلا بأس؛ وكذلك أيضا لو اشتكى إلى الله حاله كما فعل أيوب عليه السلام﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء :٨٣] لكي يعافيه الله من هذا البلاء الذي حل به، وكما قال موسى عليه السلام﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص:٢٤] حيث كان موسى ﷺجوعان فاشتكى إلى الله الجوع؛ ليطعمه فهذا كله جائز طالما ليس فيه تسخط على قدر الله (٢)

ثالثا: أن يكون الصبر في أوانه:

أن يكون في أوانه : فالصبر المحمود والمأجور عليه صاحبه هو ما كان في أوانه ، أما إذا فات أوانه فلا جدوى منه ، لأنه صبر في غير محله وبعد انتهاء أمده وزمانه ، قال

1- مسلم (٤٣٧٩) .

2- كأن يقول مثلا: يا رب ليس هناك إلا أنا كي تبتليني بهذا المرض، أو ما شابه ذلك من الأقوال التي فيها تسخط على قدر الله عزوجل .

تعالى عن صبر أهل النار : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢١]

وقال تعالى : ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الطور: ١٦]

وكما جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فَقَالَ: "**اتقي الله واصبري**" قَالَت إليك عني؛ فَإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفْه، فَقيلَ لَها: إنه النبيﷺ فَأتت باب النبي ﷺ فَلم تجد عنده بوابين فَقَالَت: لم أعرفْك. فَقَالَ:"**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**"[1]

أي عند وقوع المصيبة مباشرة، وليس بعد أن نشق الجيوب ونلطم الخدود وندعو بدعوى الجاهلية نتذكر حمد الله والاسترجاع والصبر .

عقبات في طريق الصبر:

(١) الاستعجال:

الإنسان مولع بالعجلة؛ لأنه خلق من عجل، والله تعالى لا يعجل بعجلة أحد، وعلى العبد أن يعلم أن لكل ثمرة أواناً لقطفها ونضجها، وقديما قالوا: من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يصبر فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[الأحقاف:٣٥]

1- البخاري (١٣٠٣) ومسلم (١٥٣٥) .

والاستعجال دائما من سنن المشركين، فقد كانوا يستعجلون العذاب، فـرد الله عليهم بما يقطع دابرهم فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[العنكبوت:٥٣]

(٢)الغضب:

على المسلم أن يصبر على أذى الناس وإعراضهم عن دعوته، ويعاودهم المرة بعد المرة؛ عسى الله أن يهدي بك رجلاً واحداً ، فهذا خير لك من حمر الـنعم – الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب – كما قال ﷺ.

وعن أَبِي هريرة ﷺ أن رجلًا قَالَ لِلنبِي ﷺأَوصِنِي قَالَ:"**لَا تغـضب فَـردد مِرارا قَالَ لَا تغضب** "[1]

وكلمـا صبـر الإنسان وتحمل كلما عظم أجـره، وعظمـت دعوتـه، وعظمت ثمرتها.

(٣) الضيق:

قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[النحل : ١٢٧]

وقال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [هود :١٢]

1- البخاري (٥٦٥١).

فعلى الإنسان أن ينصح ويذكر فقط، وليست عليه هداية الناس إنما الذي يهديهم حقيقة هو الله [1]

(٤) اليأس:

وهو آفة الصبر الكبرى؛ لأنها تطفيء سراج الأمل، فيترك العبد العمل ويخلد إلى الكسل، ولهذا حرص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على غـرس بـذور الأمل في نفوس المؤمنين، قال تعـالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩]

وعلى منهج القرآن في إضاءة شعلة الأمل أمام المؤمنين درج النبي الأمـين عليه أفضل الصلاة والتسليم عندما جاءه خباب ابن الأرت كما مر معنا.

أمور لا تنافي الصبر:

(١) الشكوى إلى الله:

التضرع إلى الله والالتجاء إليه ودعاؤه في أوقات الشدة عبادة عظيمـة؛ لأن العبد يظهر عبوديته لله، وحاجته لربه، ومسكنته بين يديه.

وقد تحل بالإنسان المصيبة فيشكو همه ويبث حزنه إلى الله، وهذا المقـام لا ينافي الصبر ولا يخدشه .

1- **الهداية نوعان: هداية الدلالة والتوضيح** وهو أن يدل الناس على طريق الله، وهذا معنـى قولـه تعالى لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢] .

والنوع الثاني :وهي هداية التوفيق والإرشاد وهذه لا يملكها إلا الله قال تعالى لنبيـه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص:٥٦]

فإن يعقوب – عليه السلام – وعد بالصبر الجميل فيما أخبر الله عنه فقـال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسـف] وقـال أيـضا: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾

وأيوب – عليه السلام – أخبر الله سبحانه وتعالى أنه من الصابرين، ومع ذلك فقد شكا مصيبته إلى الله حين ناداه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء] ، فإذا أصاب العبد مصيبة فشكا إلى الله وطلب منه كشفها، فهذا لا ينافي الصبر .

(٢) الحزن ودمع العين:

كما مر معنا من حزن النبي ﷺ وبكائه على ولده إبراهيم.